

عندما لا نهاب الموت، عندها فقط نستطيع أن نبقي أمناء للمسيح حتى النهاية

مقتطف من تفسير رؤيا 12

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

لم يُكْتَب سفر الرؤيا ليُشبع فضولنا فنقول: "وَمِنْ ثَمَّ سِيَحْصَلْ كَذَا وَكَذَا، وَالْأَمْرُ الْفُلَانِي سِيَحْصَلْ فِي الْوَقْتِ كَذَا". كُتِبَ السَّفَرُ لِكِي يُظْهَرَ لَنَا الْحَرْبَ الدَّائِرَةَ فِي الْعَالَمِ الرُّوحِيِّ، تِلْكَ الْحَرْبُ الضَّارِيَةُ الَّتِي يَشْنُهَا ضِدَّ الْمَسِيحِ، أَيِ الشَّيْطَانِ، ضِدَّ الْمَسِيحِ؛ وَأَيْضًا لِكِي يَتْرَكَ لَنَا رِسَالَةً أَبَدِيَّةً مَفَادَهَا أَنَّ: "الْمَسِيحُ سَيَنْتَصِرُ. الْمَسِيحُ سِيَحْكُمُ الْعَالَمَ، وَجَمِيعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُونُ الْمَسِيحَ، وَهُمْ مَتَّحِدُونَ بِهِ، سِيَحْيُونَ وَيَحْكُمُونَ مَعَهُ". يَنْبَغِي أَلَّا يَخَافَ الْإِنْسَانُ أَوْ يَضْطَرِبَ فِي الطَّرِيقِ الرُّوحِيِّ عِنْدَمَا يَرَى حُرُوبًا وَمَشَقَّاتٍ وَمُعَارَضَةً وَمَقَاوِمَةً ضِدَّهُ شَخْصِيًّا وَضِدَّ الْكَنِيسَةِ كُلِّهَا.

"وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلًا فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلَاصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا» (رُؤْيَا 12: 10). تَذَكَّرُوا سِيرَةَ الْقَدِّيسِ أَيُّوبَ الصَّدِّيقِ الْكَثِيرِ الْجِهَادِ، وَكَيْفَ مَثَلَ الشَّيْطَانُ أَمَامَ اللَّهِ وَرَاحَ يَفْتَرِي عَلَى أَيُّوبَ قَائِلًا: "أَتَظُنُّ أَنَّ أَيُّوبَ يَكْرَمُكَ وَيَحْبُبُكَ بَلَا سَبَبٍ؟ كَيْفَ لَا يُحِبُّكَ وَقَدْ مَنَحْتَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَشَتَّى أَنْوَاعِ الْأَشْيَاءِ؟". وَسَأَلَ الشَّيْطَانُ اللَّهَ أَنْ يَعْطِيَهُ سُلْطَةً لِيُجَرِّبَ أَيُّوبَ، فَسَمَحَ لَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَفْعَلَ بِأَيُّوبَ مَا يَشَاءُ، عَلَى أَلَّا يَمَسَّ حَيَاتِهِ. بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِمُهَاجَمَةِ أَيُّوبَ مُمَطَّرًا عَلَيْهِ شُرُورًا كَثِيرَةً. وَبَقِيَ أَيُّوبَ الْمُبَارَكُ صُلْبًا، كَالْحَجَرِ الْمَاسِيِّ، بِصَبْرِهِ وَإِيمَانِهِ، وَخَرَجَ مِنَ التَّجَرِبَةِ ظَافِرًا...

يَسْأَلُ الشَّيْطَانُ اللَّهَ أَنْ يَعْطِيَهُ سُلْطَةً عَلَى شَعْبِ اللَّهِ، عَلَى إِخْوَتِنَا. وَبِمَا أَنَّ لَدَيْنَا ضَعْفَاتِنَا وَخَطَايَانَا، فَإِنَّا نُعْطِي الشَّيْطَانُ سُلْطَةً عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِهَا. يَبْحَثُ الشَّيْطَانُ عَنْ فُرْصٍ لِيُطَالِبَ بِحَقُوقِهِ عَلَيْنَا، لِكِي يَدِينَنَا فِي مَا بَعْدَ وَيُعَاقِبُنَا وَيُمَزِّقُنَا. يَرْتَّبُ مُخْتَلَفَ التَّجَارِبِ وَالْمِحَنِّ ضِدَّنَا، وَإِذَا نَجَحَ فِي ذَلِكَ يَقُودُنَا إِلَى الْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ، دَافِعًا إِيَّانَا إِلَى التَّذَمُّرِ.

"وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ" (رؤيا 12: 11). إخواننا هؤلاء -المسيحيين، الشهداء، القديسون- غلبوا الشيطان بدم الحمل وكلمة شهادتهم. إننا، نحن المسيحيين، نتغذى في شركة جسد المسيح ودمه، ونحيا ونتحرك ونوجد فيها. المسيح هو الحمل المذبح من أجل حياة هذا العالم، والناس جميعًا هم أبناء الكنيسة. إنهم يتقوون بدم الحمل وكلمة شهادتهم، ويحيون بهما ويغلبون ويوجدون ويغتنون.

وإذ يغذيهم المسيح، ويحيون معه، فإنهم يشهدون له، لأنهم لم يحبوا حياتهم، بل وازدروها حتى الموت. لم يعدوا أنفسهم مستحقين إكرامًا خاصًا بسبب محبتهم للمسيح؛ بل ازدروا أنفسهم من أجل هذا المحبة. وضعوا محبتهم لأنفسهم ومحبتهم للدنيويات في المرتبة الثانية. أحبوا المسيح أولاً، وبعده أحبوا كل شيء آخر. وهكذا فقط غلبوا الشيطان وظلوا راسخين، إذ اغتدوا بدم الحمل وشهادتهم.

هذا يوضح لنا ما هي حياة المسيحي، وما هي حياتنا. يجب أن تكون حياتنا متحدة بالمسيح باستمرار من خلال الأسرار المقدسة. وبنتيجة هذه الوحدة، ينبغي لنا أن نصبح مُعترفين، وأن نشهد لكلمة الله ونبرهن حقيقتها من خلال حياتنا، بحيث تؤكد أعمالنا كلمة الله.

إذا لم تؤكد حياتنا كلمة الله، فسنواجه المشكلات بالتأكيد، وسواجه الآخرون مشكلات أيضًا، لأنهم لن يصدقونا. ومتى نعيش بطريقة مُقنعة لهم؟ عندما نحب المسيح أكثر من أي شيء في هذا العالم، ومن ثم تأتي محبة كل شيء آخر. عندما لا نحب حياتنا، وعندما لا نهاب الموت، عندها فقط يمكننا أن نبقي أمناء للمسيح حتى النهاية.

...

مشكلتنا اليوم، ودائمًا، هي أننا أناس غير ثابتين؛ لا نحيا بدم الحمل، ولا نعيش كل يوم في اتحاد مع الرب، وذلك بسبب إهمالنا، وعدم استحقاقنا، ولا مبالتنا، وعدم اكتراثنا، ولذا فإن كلامنا لا يشهد للمسيح. كلامنا غير مُقنع، ولا تؤكد حياته؛ كثيرًا ما نقول شيئًا ونفعل عكسه. ومحبتنا للمسيح هي أمر ثانوي. لو خُبرنا بين الحياة والمسيح، فغالبًا ما نختار حياتنا، لا المسيح والموت. أمّا الشهداء والقديسون، فقد وضعوا المسيح أولاً، ثم كل ما عداه. ولم يهابوا الموت.

...

عليكم أن تتحلّوا بالشجاعة وألا تخافوا. كونوا مستعدّين أن تصبروا حتّى الموت.

إن لم تتعلّموا هذا النمط من التفكير، فستكونون جبّاء. وعندما تكونون جبّاء، تصير حياتكم بلا معنى وتتحوّل كلّها إلى تدمّرٍ وتفاهة... الجُبْن في نفس الإنسان هو مثل الخنفساء الضخمة التي تأكل الأشجار. إنّ نابع من ضعف الإيمان، ويأكل الإنسان شيئاً فشيئاً، فيعاني الإنسان كثيراً.

...

يقول سفر الرؤيا إنّ الناس لم يخافوا من الموت. لماذا لم يخافوا؟ لأنّهم أحبّوا المسيح. كانوا يعلمون أنّه عندما تحبّ المسيح وتّحدّ به، فإنّ الموت لا يعود مخيفاً.

في خدمة الفصح نسمع كلمات القديس يوحنا الذهبيّ الفم الذي يقول: "لا يخشَ امرؤ الموت لأنّ موت المخلّص قد حرّرنا". ليس لدينا ما نخشاه. الموت هو انتقالٌ من الزائل إلى الأبديّ، من الفاسد إلى غير الفاسد، من الأرضيّ إلى السماويّ؛ لذا لا يوجد سببٌ للخوف.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2024). "The War in Heaven", In *Revelation: Removing the Veil*, Part 23. OrthoChristian.org.